

التشابه بين الوجود الصليبي والكيان الصهيوني

في فلسطين

م.د. رشاد نواف أحمد وادي

المديرية العامة لتربية صلاح الدين

الملخص:

مرت فلسطين عبر العصور بهجمات كبيرة، أبرزها الحملات الصليبية (1098-1291م) والاحتلال الصهيوني منذ عام (1948م) وحتى اليوم، وهذا البحث يركز على كيفية استعمال كل منهما الدين والتاريخ لتبرير الاحتلال، إذ سعى كل من الصليبيين والصهاينة إلى التغطية على حقيقتهم الاستعمارية، مدعين أن حروبهم كانت مقدسة وعادلة، في حين كانت أهدافهم الحقيقية تهدف إلى السيطرة على الأراضي، وتغيير معالم المنطقة العربية، واستنزاف الموارد البشرية والمادية.

الكلمات المفتاحية: الصليبيون، الصهاينة، فلسطين، الاستيطان، اليهود.

The Similarity between the Crusader presence and the Zionist Entity in Palestine

Dr. Rashad Nawaf Ahmed Wadi

General Directorate of Salah al-Din Education

Abstract:

Palestine has experienced significant attacks throughout history, most notably the Crusades (1098-1291 AD) and the Zionist occupation since 1948 and continuing to this day. This research focuses on how both the Crusaders and the Zionists used religion and history to justify their occupations. Both the Crusaders and the Zionists sought to conceal their colonial nature, claiming that their wars were sacred and just, while their true objectives were to control the land, alter the features of the Arab region, and exploit human and material resources.

Keywords: Crusaders, Zionists, Palestine, Settlement, Jews

المقدمة:

شهدت فلسطين عبر التاريخ هجمات متعددة، كان من أبرزها الحملات الصليبية في (491- 692هـ / 1098- 1291م) وغزوات الاحتلال الصهيوني منذ (1948م/ 1368هـ) وحتى اليوم، وعلى الرغم من الفارق الزمني الكبير بينهما، إلا أن هناك تشابها لافتا في الأدوار والاستراتيجيات التي اتبعتها الصليبيون والصهاينة في فلسطين، وهذا البحث يستعرض أوجه التشابه بينهما في توظيف الدين والتاريخ كأداة لتبرير الاحتلال، وهؤلاء عمدوا بطمر حقيقة الاستعمار الصليبي والصهيوني، بالتستر وراء الشعارات المزيفة في استعادة الأراضي المقدسة، فقد عدوا حروبهم مقدسة وعادلة، إلا أنها كانت تخفي الأغراض الحقيقية المتمثلة في تغيير خارطة المنطقة العربية، وذلك بالسيطرة والاستيطان، واستنزاف الموارد البشرية والمادية.

يتكون البحث من ثلاثة محاور رئيسية: الأول التشابه في الدوافع الدينية والتاريخية، والثاني التشابه في الدعم الخارجي لهؤلاء الغزاة، أما الثالث فتناول المقاومة ورد الفعل العربي الإسلامي.

أولا: التشابه في الدوافع الدينية والتاريخية:

تشكل الدوافع الدينية والتاريخية عنصرا مهما في فهم طبيعة الاحتلال التي تعرضت لها أرض فلسطين عبر التاريخ، ولعل أبرز أنموذجين متشابهين في هذا السياق هما: الغزو الصليبي والحركة الصهيونية، وقد استند كلا المشروعين إلى مزاعم دينية وتاريخية لاحتلال أراضي فلسطين، مستغلين الروايات والكتابات الدينية والتاريخية، ومنها ما فسروها على هواهم أو وفقا لمصالحهم، محاولة منهم اضعاف الشرعية على استيطان فلسطين (كانتور 1999م، ج1، ص281).

أ- الجانب الصليبي: ادعوا أن لهم حقا دينيا وتاريخيا في الأراضي المقدسة في فلسطين (بيت المقدس) بحجة أنها (أرض المسيح) وحق للكنيسة الغربية، ففي عام (488هـ / 1095م) أطلق البابا أوربان الثاني دعوة لدعم الغزو الفرنجي للغرب وعدها حربا مقدسة، مشيرا إلى تدهور أوضاع (النصارى) في الشرق، ولاسيما أن القدس تحت الحكم العربي الإسلامي، فضلا عن تأثير الخطاب الديني القوي في توجيه الغزو الصليبي وزعم أن القتال لأجل تحرير الأرض المقدسة، وأن المشاركين فيها سيكفر عن خطاياهم ويهب لهم الخلاص في الآخرة (الشارتري 2001م، ص30-31).

غير أنه أشاد بالثراء الذي كان عليه بلاد الشرق، بل إنه وصف لهم ما جاء في خطبته عن أرض فلسطين بأنه ((الأراضي التي تفيض لبنا وعسلا))، وبذلك حرك عواطف الفقراء والأمراء، فالفقير يبحث عن خروجه من الفقر والقناعة، والأمير يبحث عن التوسع والتملك، ومنح البابا (صكوك الغفران) لكل من يشارك في الغزو، مما حولها إلى حركة جماعية ذات طابع ديني (زابوروف 1990م، ص 137).

وكان البابا في خطبته لا يتكلم نيابة عن نفسه، وإنما يتكلم نيابة عن النبي عيسى (عليه السلام) نفسه، إذ قال: ((ثم فإنني لست أنا، ولكن الرب هو الذي يحثكم باعتباركم وزراء المسيح .. ومن لا يحمل صليبه، ويأتي ورأيي فلا يقدر أن يكون لي تلميذا)) (الشارتري 2001م، ص 62) وهنا البابا أوربان الثاني في الخطبة يحاول بأكثر من سبيل لإقناع الحضور، بضرورة التوجه إلى القدس لنجدة اخوانهم في الشرق، وذكر البابا أوربان بأن المسلمين ((يدنسون الأماكن المقدسة)) ودعا إلى تحريرها، فضلا عن حماية الحجاج النصارى الذين ((يعانون من ظلم وبطش الكفار)) ويقصد المسلمين بحسب تعبيره، غير أن فلسطين كانت تحت الحكم الفاطمي يحمون كنيسة القيامة ويسمحون للحجاج النصارى بزيارتها (الشارتري 2001م، ص 65).

وزعم الصليبيون أن فلسطين -ولاسيما بيت المقدس- هي (ميراث مسيحي)؛ لأنها شهدت حياة وموت المسيح، واستعملوا نصوصا من إنجيل متى ((حيث ولد المسيح في بيت لحم)) ((حيث صلب في القدس)) (متى 1989م، الآية 2) وهذا الادعاء لا يعني أحقية دينية أو تاريخية للنصارى في فلسطين، فالمسيح نفسه لم يطالب بأرض أو مملكة دنيوية، بل قال: ((مملكتي ليست من هذا العالم)) (يوحنا 1990م، الآية 35) واستغل الصليبيون الروايات التوراتية عن (مملكة إسرائيل الموحدة) في فلسطين مدعين أنهم هم ورثة هذه المملكة، على الرغم من أن الروايات غير مؤكدة تاريخيا وهذه من الأساطير التوراتية؛ لأن الصليبيين هم مجموعة شعوب غربية (فرنجة، ونورمان، وجرمان) وليسوا من نسل العبرانيين القدماء (كانتور 1999م، ج1، ص252) .

وادعى الصليبيون أن لهم الحق التاريخي فيها؛ كونها جزءا من الإمبراطورية الرومانية وأنهم يستعيدون أراضي الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) التي فقدت بلاد الشام لصالح المسلمين في القرن السابع للميلاد، وفي الواقع كانت العلاقة بين النصارى الغربيين (روما) والشرقيين (بيزنطة) متوترة سياسيا ودينيا، بل أن الصليبيين أنفسهم نهبوا القسطنطينية نفسها في الحملة الصليبية الرابعة (599هـ/ 1202م) (زابوروف 1990م، ص281).

ووظف الصليبيون مجموعة من القصص والأساطير بالعثور على متعلقات أثرية في فلسطين (مثل: السكين المقدسة) والتي طعن فيها عيسى (عليه السلام) (وخشبة الصليب) في مدينة أنطاكية بالقرب من فلسطين، وقد ذكرها المؤرخ فوشيه الشارترى المرافق للحملة الصليبية الأولى (491هـ / 1098م): ((لقد وجدنا الحربة المقدسة التي طعن بها ... وقد استمددنا الطمأنينة والقوة من هذا الاكتشاف)) (الشارترى 2001م، ص 64-65) واستنكر المؤرخ وليم الصوري من هذه الحيلة الذي اختلقها أحد رجال الدين الذين رافقوا الحملة فقال: ((... ولعل بطرس بارثولوميو ابتكر هذه المسألة ... او لعله توافرت له موهبة المتنبئ فيستطيع أن يخبر بوجود قطعة من الحديد)) (الصوري 2003م، ج 1، ص 281) مما يؤكد أن الأساطير كانت تستعمل لرفع معنويات الجنود وتبرير الاستيلاء على المدن واحتلال فلسطين .

وحتى أن ملك انكلترا ريتشارد الملعب بقلب الأسد كان يظن أن حصن الكرك الموجود في الأردن هو قصر داود (عليه السلام) كل هذه الأدلة كانت تبريرات لتضيي أحقية شرعية دينية وتاريخية للغزو الصليبي وتوجيهه إلى أرض فلسطين، فضلا عن السيطرة على الطرق التجارية بين الشرق والغرب، وتوجيه المشاكل الاجتماعية والسياسية والدينية داخل أوروبا نحو عدو خارجي (كانتور 1999م، ج 2، ص 88) وهذا ما أكده المؤرخون المعاصرون للحملات الصليبية في زيف هذه الادعاءات، إذ كان الغزو الصليبي في جوهره حركة استعمارية استغلت الدين والأساطير التاريخية لتبرير العنف وسلب فلسطين، وقد نشبت ثورة حقيقية في فرنسا، ومنها انتقلت إلى غرب أوروبا لإيجاد أرض جديدة رغبة من الكنيسة والطبقة السياسية بزج كثير من السكان خارج أراضيهم واستيطان أراض جديدة (قاسم 2001م، ص 49).

وفي ظل تلك الظروف كان الشرق الإسلامي المتمثل بالخلافة العباسية في مرحلة ضعف وانقسام، تنوع الحكم بين الامراء التابعين اسميا للخلافة العباسية في فلسطين والمناطق المجاورة لها، غير أن هذا الولاء الرمزي للعباسيين واجه تحديا كبيرا من قبل الدولة الفاطمية، التي سعت إلى بسط نفوذها في المنطقة، وبدأت محاولاتها لتأسيس كيان سياسي تابع لها في فلسطين الشام، حتى تمكن السلاجقة من تأسيس حكم لهم في بلاد الشام، عرف باسم سلاجقة الشام، مما عزز وجودهم وأضعف محاولات الفاطميين لاستعادة السيطرة على بلاد الشام (المقريزي 1996م، ج 2، ص 69).

إلا أن هذا لم يمنع حالة التناحر والتناحر بين السلاجقة بعضهم البعض، وبين السلاجقة والأتراك، وظلت بلاد الشام أرضا للنزاع لم تهدأ الفتن والصراعات فيها طوال الحكم الإسلامي مما

أضعف القدرة على مواجهة الهجمات الصليبية الأوروبية، واستغلت القوات الصليبية هذه الفجوات لتأسيس مواضع لها في فلسطين (البيلي 1996م، ص236).

ب - الجانب الصهيوني:

بدأ الاستيطان اليهودي بشكل منظم مع انطلاق الحركة الصهيونية أواخر القرن التاسع عشر، واشتد بعد صدور وعد بلفور عام (1917م) ثم تلاه الانتداب البريطاني الذي سهل انتقال ملكية الأراضي وإقامة المستعمرات اليهودية، وصولاً إلى إعلان كيان مزعوم يسمى إسرائيل عام (1948م) (حسنين 2001م، ص58).

واستند الصهاينة إلى الفكرة والروايات التي وردت في التوراة (أرض الميعاد) ادعت الحركة الصهيونية منذ نشأتها في القرن (الثالث عشر للهجرة/ التاسع عشر للميلاد) حقاً دينياً وتاريخياً لإنشاء دولة يهودية في فلسطين، فزعم اليهود أن فلسطين هي الأرض التي وعدهم الله بها، تأسيساً على ما جاء في التوراة أن الله (سبحانه وتعالى) قد وعد إبراهيم (عليه السلام) وذريته من بعده أن يعطيه أرض فلسطين لإنشاء دولة فيها، استناداً إلى رواية سفر التكوين: ((في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات)) (سفر التكوين 1865، الآية 8).

ولو فرضنا أننا سلمنا بما جاء في التوراة على أنه كتاب مقدس من عند الله كامل دون تحريف، لكننا لا نستطيع أن نوافق اليهود والمستشرقين بتفسيرهم التعسفي للنصوص التوراتية؛ لأن العهد الرباني ليس موجهاً إلى اليهود وحدهم، بل هو وعد لإبراهيم وذريته: (إسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، والأسباط) يتساوى في هذا الحق كل من: إسحاق جد اليهود، وإسماعيل جد العرب (عليهم السلام)، وعلى ذلك فإن في أرض فلسطين ليس مقصوراً على اليهود، وإنما هو لمن جاء من ذرية سيدنا إبراهيم، ومن هذه الذرية العرب واليهود (ابن كثير 2998م، ج4، ص414).

ولكن الحقيقة التاريخية -بحسب ما ورد في الوثائق الآشورية الرسمية- أن الفرات لم يكن معروفاً بهذا الاسم حتى العصر الآشوري، وإنما كان اسمه (بورانوم) Buranum وليس الفرات (The Assyrian Dictionary 1958, p. 49) ومن ثم اسم مصر في عصر إبراهيم (عليه السلام) لم يكن معروفاً بهذا الاسم، والسجلات المصرية الرسمية تؤكد اسم مصر ظهر للمرة الأولى بعد حوالي (750 ق.م) وأن الاسم الذي عرفت به هو (إيجبت، وتعني: بلاد القبط) مما يعني أن هناك فارقاً زمنياً شاسعاً، يفصل بين ما تقوله الرواية التوراتية وبين ما تقوله السجلات المصرية التاريخية القديمة وقد يصل الفرق إلى (1200) عام (سلامة 2012، ص

(34).

إن تناقضات نصوص التوراة لن تكون قابلة للحل إلا بالقطع النهائي وبشكل تام بين جغرافية فلسطين وجغرافية الحدث التوراتي، مما يعني أنه على الباحثين والمؤرخين المنصفين إعادة كتابة وتفسير النصوص التوراتية تاريخيا بصورة أدق، وتحرير فلسطين من أسر (الأساطير) التي طبعت في الدراسات والأبحاث والمؤلفات التي تناولت تاريخ فلسطين (شاحك 1990م، ص 97).

ويبدو أن الحركة الصهيونية لم تكتف بهذا بل روجت على أن أرض فلسطين لهم فيها حق تاريخي، فصدر كتاب (دولة اليهود) لثيودور هيرتزل⁽¹⁾ (1860-1904م) الذي وصف فيه فلسطين بأنها (أرض بلا شعب A land without a people) وفلسطين هي (مملكة داود الموحدة) متجاهلا الوجود العربي الفلسطيني الموهل في القدم، وهذه التناقضات بين الدين والتاريخ واضحة لا بل حتى في الأدلة الأثرية لا توجد إثباتات قاطعة على وجود (مملكة داود الموحدة) كما تصور التوراة، وهذا ما أكدته عالم الآثار الإسرائيلي فنكلشتاين⁽²⁾ الذي رأى أن الروايات التي وردت في التوراة عن الممالك العبرية (مملكة داود وسليمان (عليهما السلام) ما هي إلا سرد أيديولوجي يمثل وجهة نظر مؤلفي رجال الدين والملكية في العصور الوسطى، وليست مرآة تعكس حقائق تاريخية دقيقة (الخلف 2004م، ص 78).

وبحسب الدراسات العلمية الحديثة أظهرت نتائج دراسة مجلة (ساينس أدفانسز) في عام (2019م) بتحليل رفاة السكان من مقبرة في مدينة عسقلان وجدوها هي من أجداد السكان الأصليين للمنطقة (الكنعانيين) الذين عاشوا في المنطقة حتى قبل ظهور الديانة اليهودية؛ لأنها أكدت استمرارية وتطابق الحمض النووي للفلسطينيين منذ العصر البرونزي (3300 - 1200 ق. م) (Michal 20019, p.60).

وأطلق القسيس الصهيوني وليام بلاكستون⁽³⁾ (1841-1935م) عام (1888م) (الشعار نفسه المتمثل في أن ((فلسطين هذه تركت هكذا أرضا بغير شعب، بدلا من أن تعطى

(1) من أصل نمساوي يعد مؤسس الحركة الصهيونية الحديثة، كان كاتباً وناشطاً سياسياً، شجع اليهود على الهجرة إلى فلسطين ساعياً لتشكيل دولة يهودية؛ (ابراهيم 1998م، ص 219).

(2) عالم آثار إسرائيلي ولد عام (1949م) يعمل حالياً أستاذاً في جامعة تل أبيب، وينتقد بشدة جيل العلماء السابق الذين قرأوا نتائج أبحاثهم في التنقيبات على أنها موافقة للروايات التوراتية؛ (شاحك 1990م، ص 77).

(3) رجل دين أمريكي، أنفق الملايين على التبشير، وتزعم حملة لعودة اليهود إلى فلسطين تمهيداً لعودة السيد المسيح، زار ونظم اجتماعاً يهودياً مسيحياً؛ لنشر الأفكار الصهيونية، صدر له كتاب (يسوع قادم) عام (1888م) بيع منه أكثر من مليون نسخة وترجم إلى 84 لغة منها العبرية (ابراهيم 1994م، ص 183).

لشعب بغير أرض)) والتناقض العجيب ان في فلسطين (650 ألف) نسمة بحسب إحصاءات الدولة العثمانية لعام 1890م (الخلف 2004م، ص71) .

ثانيا: التشابه بين الدعم الخارجي (الاوربي) والاستيطان في فلسطين:

مثل الدعم الأوروبي أحد المرتكزات الأساسية في انطلاق واستمرار الحروب الصليبية والكيان الصهيوني التي شهدتها فلسطين بشكل خاص والدول العربية الإسلامية بشكل عام، وتعددت أشكال هذا الدعم، فتشابهت بأكثر من جانب مثل: الجوانب الدينية والسياسية والعسكرية والاقتصادية، واقرنت بجهد منظم لتشجيع الهجرة والاستيطان في المناطق التي سيطروا عليها، وقد حظي هذا المشروع بدعم وتخطيط مباشر من القوى الأوروبية، بهدف إنشاء كيانات سياسية استعمارية دخيلة متجذرة قد سبقت أن خدمت الوجود الصليبي في المنطقة، ولايزال الكيان الصهيوني يخدم ويكرس السيطرة الغربية على المنطقة (باركر 1967م، ص60) .

أ- الجانب الصليبي: وفيه:

1- الدعم السياسي والعسكري:

شهدت الحروب الصليبية دعما سياسيا وعسكريا مباشرا من الملوك والأمراء الأوروبيين، وقد وظفوا مواردهم وجيوشهم لدعم غزو فلسطين والعالم الإسلامي، ففي عام (548هـ / 1154م) استطاع نور الدين محمود زكي السيطرة على دمشق، فأصبحت سيطرته قريبة من المدن الفلسطينية التي استولى عليها الصليبيون (عكا وطرابلس) (ابن الأثير 1997م، ص495-498) مما مثل تهديدا مباشرا على مملكة بيت المقدس، مما دعا أميريك Aymeric أحد قساوسة الصليبيين الاستجداد بالملك الفرنسي لويس السابع (532-576هـ / 1137-1180م) واستجاب له وخرج بحملة صليبية الى القدس (أوف دويل 1995، ج7، ص392) .

وفي عام (585هـ / 1187) قدمت من اوربا جيوش جرارة الى فلسطين بلغ تعدادها اكثر من (200) ألف بين راكب وماشى، على رأسها فيليب أوغسطس الثاني Philippe Auguste (580-623هـ / 1184-1226م) ملك فرنسا، وريتشارد (قلب الأسد Richard Coeur de Lion (585-595هـ / 1189-1199م) ملك إنجلترا، وفريدريك بربروسا Friedrich I Barbarossa (547-586هـ / 1152-1190م) إمبراطور ألمانيا (الشامي 1991م، ص241)

أما النبلاء الأوروبيون فهم البنية القتالية الرئيسة للغزو الصليبي ، فقد ساهموا في إنشاء

كيانات لاتينية في فلسطين، ومن ابرز هؤلاء الأمراء جودفري البويوني⁽⁴⁾ Godfrey de Bouillon الذي قام بتوزيع أراضي فلسطين بعد احتلال القدس (493هـ / 1100م) فمنحها على شكل إقطاعات مقسمة بين التجار وطبقة النبلاء، فمنح تجار ايطاليا مدينة أرسوف وإقطاع الجليل، بشرط أن يقوموا بجلب مستوطنين جدد لأراضيهم من الغرب الأوربي (الفيتري 1998، ص66).

2- الدعم الاقتصادي:

كان للدعم الاقتصادي تأثير كبير على مسار الغزو الصليبي، سواء من قبل الكنيسة أو من القوى الأوروبية الأخرى، فهو من العوامل الحاسمة التي ساهمت في استمرار هذه الحروب ودعم العمليات العسكرية التي شنها الصليبيون، فكان الصليبيون بحاجة ماسة إلى الموارد الاقتصادية لضمان نجاح حملاتهم العسكرية على الشرق الإسلامي، ويتجسد هذا الدعم الخارجي في عدة أشكال من التمويل المباشر إلى توفير الدعم العسكري والمساعدات التجارية التي قدمتها الدول الأوروبية (قاسم 2001م، ص132).

وتلقى الصليبيون الدعم المالي الكبير من الكنيسة الغربية، التي كانت تجمع الأموال كضرائب للحرب من مختلف أنحاء أوروبا، وقدم الملوك والنبلاء العديد من الأموال والموارد اللازمة لتجهيز الجيوش، ولاسيما في الحملة الصليبية الأولى (489هـ / 1096م) ومن بينهم الأمير ريموند الرابع⁽⁵⁾ الذي قدم تمويلا شخصيا في إعداد وتجهيز الحملة الصليبية الأولى (ابن الأثير 1997م، ج8، ص489) التي دعا إليها البابا إينوسنت الثالث⁽⁶⁾ Innocent III، انخرفت عن مسارها وتوجهت نحو القسطنطينية بحثا عن دعم اقتصادي، أسفرت تلك الحملة عن تخريب وتدمير القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية عام (601هـ / 1204م) وكان البابا إينوسنت الثالث رافضا لهذا التحول في مسار الحملة، إلا أنه كشف عن حقيقته الاستعمارية؛ ليسيّط على الكنيسة الشرقية، ولتساعده السلطة الجديدة في بيزنطة في تجهيز حملة إلى بيت المقدس (البيلي

(4) ولد في بولوني في فرنسا، وهو الابن الثاني لأبيه، حظي جودفري بفرص أقل إذ يرث الابن الأكبر كل شيء، ثم أصبح جودفري دوق مدينة لورين السفلى عام (473هـ / 1081م)؛ (السامرائي 2023م، ص 64).

(5) هو كونت مدينة تولوز، أطلقت عليه المصادر العربية ريمون الصنجيلي، شارك في الحروب الصليبية وكان في الخمسينات من عمره، وكان أكبر القادة الصليبيين سنا، وقد أمضى بقية حياته في الشرق إذ مات سنة (498هـ / 1105م) في طرابلس؛ (ابن الأثير 1997م، ج8، ص462).

(6) واسمه لوتاري روماني الأصل، ولد في باريس عام (555هـ / 1160م) تولى منصب البابوية عام (594هـ / 1198م) الذي أقسم على محو آثار صلاح الدين في المشرق، وتخليص بيت المقدس من المسلمين؛ (عبده 2019م، ص292).

1996م، ص154) .

وأما مدن الجمهوريات الإيطالية (البندقية، وجنوة، وبيزا) فأدى أثرها وتجارها دورا حاسما في الدعم الاقتصادي للحروب الصليبية، فبفضل موقعها الجغرافي الاستراتيجي في بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) كانت هذه المدن تتحكم في طرق التجارة البحرية وتوفر التأمين الكامل للنقل البحري للقوات الصليبية، فضلا عن حرص التجار على المشاركة والدعم للحملة الصليبية؛ لأنهم سيتمكنون من منافسيهم المسلمين الوحيدين، وفتح سوق جديدة لتصريف بضائعهم، لذا عند بدء الحملة الصليبية كان شعارهم ((لنكن أولا بنادقة، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين)) (توفيق 2009م، ص160).

فكان لمدينة البندقية دور رئيس في تأمين السفن للقوات الصليبية، ولاسيما عند بدء الحملة الصليبية الرابعة إذ كان الصليبيون بحاجة ماسة إلى أساطيل بحرية لنقل الجنود والمؤن والعتاد، وقد قدمت البندقية تلك الأساطيل مقابل الحصول على امتيازات تجارية في سواحل فلسطين، وأسهمت مصارف ومؤسسات بيزا وجنوة المالية في تلك الحقبة الصليبية بتقديم قروض بفوائد كبيرة، بحيث كانت تدفع للفرسان والجنود الذين يرحلون للشرق الاسلامي راتبا سنويا حوالي (300) قطعة فضية، وهو مبلغ كبير بمقاييس ذلك الزمن (السامرائي 2023م، ص64).

3- دعم الهجرة والاستيطان:

حرص الغزو الصليبي على تصفية غالب مدن فلسطين من الوجود الإسلامي بعد أن ارتكب المذابح والمجازر وأساليب مختلفة للتهجير ومن ثم الاستيلاء على الأراضي؛ وذلك لتحقيق الأهداف الصليبية المتمثلة بالاستيطان، وطمس عروبة الأرض وسلب هويتها، إذ تمكن الصليبيون من غزو مدينة بيت المقدس سنة (492هـ/ 1099م) وتعرض بيت المقدس لأبشع مجزرة شهدتها التاريخ الإسلامي أسفرت عن إبادة سكان المدينة، وذكرت المصادر اللاتينية أن المدينة استبيحت لمدة ثلاثة أيام وذبح فيها غالبية السكان من المسلمين، وهو ما أكدته المؤرخ (فوشيه الشارترى) الذي وصل المدينة بعد سقوطها إذ قال: ((يا لها من رائحة نتنة من الجثث المتعفنة للشرقيين الذين ذبحهم رفاقنا وقت استيلائهم على المدينة، ترى جثثهم ملقاة حيث لقوا حنقهم)) (الشارترى 2001م، ص62) ولم يراع الصليبيون حرمة الأماكن المقدسة، فقتلوا عددا كبيرا من المسلمين داخل بيت المقدس من بينهم العلماء والزهاد وحرقوا ما فيه من المصاحف الشريفة، وقد قدر عدد القتلى أكثر من سبعين ألف شخص (ابن الراهب 1903م، ص71) .

وبعد استكمال عمليات غزو مناطق فلسطين (طرابلس، وعكا، ويافا) شهدت اوربا موجة نزوح واسعة، إذ هاجر الآلاف من الفلاحين والحرفيين الأوروبيين إلى فلسطين وسواحل

بلاد الشام، ولم يكن الهدف من الحملات الصليبية احتلالاً مؤقتاً فحسب، بل مشروعاً طويلاً الأمد لإقامة مجتمعات لاتينية مستقرة في المشرق، وهو ما جرى بدعم أوروبي مباشر (ابن الأثير 1997م، ج7، ص396) منحت الكنيسة للمستوطنين امتيازات قانونية، مثل: الإعفاء من الضرائب الكنسية، وعرض النبلاء أراضي ومنازل للمستوطنين الأوروبيين، واستقروا في عدة مناطق مثل: القدس التي كانت مركزاً دينياً ومقراً لحكم مملكة القدس، وقد شغل سكانها الأوروبيون مناصب إدارية وعسكرية، أما مدينة عكا فهي من أهم موانئ فلسطين التي حوت أحياء خاصة بالإيطاليين والفرنسيين، وتمتعت بتنوع سكاني من اللاتينيين والمستشرقين، أما طرابلس وصور وبيافا فهي مدن ساحلية حيوية تم استيطانها من قبل التجار الإيطاليين والفرنسيين والانكليز (باركر 1967م، ص94).

وبعد استقرار فلسطين بيد الصليبيين أصدر ملك بيت المقدس بلدوين الثاني بمباركة من الكنيسة الغربية- قانوناً في سنة (511هـ / 1119م) يتضمن إعفاء التجار النصارى الشرقيين والغربيين بطوائفهم جميعاً المتمثلين بالأرمن والسريان وحتى الإغريق من الضرائب داخل الإمارات الصليبية والسماح لهم بالسكن داخلها، ويبدو أنهم أرادوا بذلك تشجيع الاستيطان والهجرة إلى فلسطين (وبالفعل تم تسليم مدينتي عسقلان وصور وقراها الخاليتين من السكان للتجار والجنود البنادقة، ووصل عدد المستوطنين في عسقلان وصور إلى ما يقرب من خمسة عشر ألف نسمة، والقدس وحدها خمسة وعشرين ألف نسمة، وبقيّة المدن عشرة آلاف نسمة (الشارتري 2001م، ص216).

وأنشئت أحياء كاملة لهؤلاء المستوطنين مع بناء قلاع ومستوطنات صليبية تمهيداً لاستيطان أكبر عدد ممكن من العناصر الصليبية واستكمالاً للمخطط الاستعماري الصليبي، وكذلك تعد حزاماً أمنياً حول المدن، فضلاً عن أن سكان تلك المستوطنات يتم استخدامهم جنوداً في أيام الحرب، وبلغ عدد المستوطنات الصليبية في فلسطين وحدها أكثر من عشرين مستوطنة، أهمها: مستوطنة البيرة⁽⁷⁾ وهي أقرب المستوطنات إلى القدس ومعظم من استوطن فيها من فئة الفلاحين والحجاج النصارى الذين قدموا من أوروبا وقد بلغ عددهم مئة وأربعين أسرة (ماير 1999م، ج1، ص25).

(7) قرية بين القدس ونابلس، أطلق الصليبيون عليها مستوطنة منطقة التعبد الكبرى أو الدينية الكبرى؛ نظراً لأهميتها لديهم؛ (الصوري 2003، ج2، ص62).

ومستوطنة راماتيس⁽⁸⁾ الواقعة شمال غرب القدس قطعها رجال الكنيسة الى السريان الشرقيين لإقامة منازلهم عليها؛ لتشجيعهم على الإسهام في تطوير وتشجيع الحركة الاستيطانية (مولر 1984م، ص130) .

ب - الجانب الصهيوني: وفيه:

1 - الدعم السياسي والعسكري:

مثل الدعم السياسي الدولي للكيان الصهيوني من قبل القوى الغربية (أوروبا، والولايات المتحدة) أنموذجا فريدا للتحالفات الاستراتيجية طويلة الأمد في التاريخ الحديث والمعاصر، تعكس هذه العلاقة تفاعلا بين مصالح متبادلة تتجاوز الاعتبارات والشعارات التي يطلقونها المتعلقة بالديمقراطية وحقوق الإنسان (ابراهيم 1998م، ص86) لتركز على أسس ومصالح مادية واستراتيجية واضحة، فارتبط المشروع الصهيوني في إقامة دولة على أرض فلسطين بوثيقة سياسية بريطانية تمثلت بتصريح وعد بلفور الصادر في (1917م) وكانت هذه الوثيقة بمثابة رسالة من وزير الخارجية البريطاني آرثر جيمس بلفور (1848-1930م) إلى روتشيلد⁽⁹⁾، جاء فيها: ((عزيزي اللورد روتشيلد، يسرني أن أبلغكم... بالتصريح التالي الذي يعبر عن التعاطف مع طموحات اليهود والصهيونية، والذي تم تقديمه للحكومة... إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل قصارى جهدها لتحقيق هذه الغاية)) (عيسى 1991م، ص23) وهذه تعبر عن دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وهذا التصريح مثل أول دعم دولي رسمي للمشروع الصهيوني الذي سعى إلى إقامة دولة الكيان في فلسطين (حسنيين 2001م، ص128) .

أصبح هذا الوعد جزءا من سياسة الانتداب البريطاني (1920-1948م) على فلسطين، والذي مكن المنظمات الصهيونية من بناء مؤسساتها، وتسلم أراض، وإنشاء مستوطنات تحت حماية السلطة البريطانية، ثم مارست بريطانيا سياسات تسهيل الهجرة اليهودية، ومنح الامتيازات القانونية لليهود، ومنع الفلسطينيين من إنشاء جيش أو تمثيل سياسي حقيقي (ابراهيم 1998م،

(8) اسم قرية روماني الأصل تحريف لكلمة رامة أو رام، شمال القدس بين عكا وطرابلس؛ (الفيتري 1998، ص94).

(9) واسمه ليونيل والتر روتشيلد (1845-1917م) هو أحد الشخصيات الثرية في بريطانيا، ولد في أسرة يهودية من عائلة روتشيلد المصرفية، والتي كانت لها التأثير الكبير في المجال المالي على مستوى أوروبا والعالم، وكان ليونيل قد شغل مقعدا في البرلمان البريطاني وعرف بدعوه للحركة الصهيونية؛ (أمين 2011م، ص153) .

ص58).

وفي عام (1947م) أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارا يقضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين، واحدة يهودية وأخرى عربية، هذا القرار كان بمثابة دعم دولي رسمي للمشروع الصهيوني، لكنه لم يلق قبولا من الفلسطينيين والدول العربية التي رأت فيه اعتداء على حقوق الشعب الفلسطيني، وبعد صدور القرار، بدأ الصهاينة بتنفيذ حملة من الهجمات ضد المدنيين الفلسطينيين، مما أدى إلى تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين وتدمير قراهم ومدنهم، وقد أفادت تقارير دولية أن الجماعات الصهيونية قد سيطرت على 18 مدينة وقرية فلسطينية قبل إعلان قيام ما يسمى بدولة الكيان المزعومة في (15 ايار 1948م) (حسنين 2001م، ص87).

وبعد الاعلان بدأت الولايات المتحدة بتقديم دعم سياسي وعسكري غير مشروط للكيان، فكانت أول دولة تعترف بها رسميا، ومن ثم بدأت تقدم دعما دبلوماسيا مستمرا في المحافل الدولية، بما في ذلك استعمال (حق النقض - الفيتو) في مجلس الأمن الدولي لحماية الكيان الصهيوني من القرارات التي تدينها، وهذا الدعم الأمريكي أصبح أكثر وضوحا بعد عام (1967م) واستعملت الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ السبعينات من القرن العشرين حق الفيتو في مجلس الأمن الدولي؛ لإحباط مشاريع قرارات تدين الممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، أو تطالبها بالانسحاب من الأراضي التي احتلتها (عيسى 1991م، ص93) واستعملت أميركا حق الفيتو لصالح إسرائيل 45 بين حقبة (1967- 2024م) وهذا انتهاك واضح للحقوق الشرعية والدولية وإعاقة متعمدة لعملية السلام وفق الشرعية الدولية لا بل ازدواجية المعايير وتناقض بين المبادئ الأميركية المعلنة حول حقوق الإنسان، ودعم الكيان بغطاء دولي للاستيطان والتوسع، مما يؤكد تفضيل المصالح السياسية على القيم الأخلاقية (الديان 2024م، ص116) .

2- الدعم الاقتصادي:

أدى الدعم المالي الغربي دورا مهما في تمكين المشروع الصهيوني في الاستيطان بفلسطين، منذ بداياته في أواخر القرن التاسع عشر مروراً بمرحلة الاعلان لدولة الكيان المزعومة عام (1948م) ووصولاً إلى تعزيز وجودها ككيان سياسي واقتصادي وعسكري مهيم في فلسطين حتى يومنا هذا، وقد اتخذ هذا الدعم عدة أشكال، شملت التبرعات والاستثمارات الخاصة، والدعم الحكومي المباشر، فضلا عن الاتفاقات الاقتصادية والعسكرية الدولية (حسنين 2001م، ص71).

وبدأ التمويل الخارجي للمشروع الصهيوني منذ أواخر القرن التاسع عشر بواسطة الجمعيات الخيرية الأوروبية على رأسها جمعية أليانس Alliance التي تأسست بواسطة مجموعة من المثقفين في باريس عام (1860م) وافتتحت أول مدرسة لها في القدس عام (1882م) وهي مدرسة (الزراعيين) هدفها تعليم اليهود الزراعة الحديثة والتجارة في فلسطين، وأسهمت في دعم الكيان في فلسطين تمهيدا لإقامة دولة لهم، ومن ثم قدمت قروضا صغيرة للمستوطنين اليهود (بفائدة 5%) عبر صندوق خاص أنشئ عام (1899م) (عيسى 1991م، 101).

أما جمعية هيكل هيسيد Hilfsverein der deutschen Juden التي تأسست في ألمانيا عام (1901م) على يد مجموعة من الألمان، فقد أنشأت شبكة مدارس تقنية أشهرها (التخنيون) لإنشاء بنى تحتية لهم في فلسطين عام (1912م) وقد حاولت فرض الألمانية كلغة تعليم (بدل العبرية) مما أثار احتجاجات الصهاينة (حسنين 2001م، ص89).

ومع صدور وعد بلفور (1917) وفي اثناء مرحلة الانتداب البريطاني (1917-1948م) تحول الدعم الاقتصادي إلى نظام مؤسساتي بمساعدة القوى الاستعمارية، ولاسيما بريطانيا وذلك بمنح امتيازات مالية للمشاريع الصهيونية مثل: شركة الكهرباء الفلسطينية التي سيطر عليها اليهود التي دعمتها حكومة الانتداب بمقدار 250,000 جنيه فلسطيني عام (1927م) لحقها دعم مالي من بنك إنجلترا بقيمة 1.5 مليون جنيه عام (1934م) (أمين 2011م، ص70).

وبعد الحرب العالمية الثانية شهد الكيان الصهيوني دعما اقتصاديا واسعا من مختلف الأطراف الدولية، ففي عام (1952م) طالبت إسرائيل من ألمانيا بضغط ودعم دولي تعويضات نقدية وعينية ضخمة تجاوزت 3.5 مليار مارك ألماني، نتيجة إبادة اليهود من قبل النظام النازي في ألمانيا بقيادة أدولف هتلر، وقد استخدمتها إسرائيل بشكل رئيس لبناء بنيتها التحتية وتعزيز القدرة على استيعاب المهاجرين اليهود الذين تدفقوا إلى فلسطين (ابراهيم 1998م، ص141).

ومنذ عام (1950م) كانت فرنسا أحد الحلفاء الرئيسيين للكيان في مجال الدعم الاقتصادي والعسكري، فقد قامت بتزويد إسرائيل بالأسلحة المتقدمة في أوائل الخمسينات، فضلا عن دعمها في العدوان الثلاثي على مصر في (1956م) وهذه العلاقة السياسية تهدف إلى تعزيز قدرة إسرائيل على الاستمرار في تنفيذ مخططاتها التوسعية في المنطقة العربية (المسيري 1999م، ج6، ص91).

أما الولايات المتحدة فكان لها النصيب الأكبر في الدعم، إذ قدمت مساعدات مالية

مباشرة لإسرائيل منذ عام (1948م) وحتى يومنا هذا، مما جعلها أكبر داعم مالي لإسرائيل طوال العقود الماضية، وأصبحت الولايات المتحدة المزود الأكبر بالأسلحة للكيان الصهيوني، إذ يتلقى الكيان 3.8 مليار دولار سنوياً ضمن برنامج دعم عسكري مباشر، ضمنت فيه واشنطن تفوق الكيان العسكري والنوعي، مما مكنها من صمودها أمام المقاومة الفلسطينية وحماية مستوطناتها في الأراضي المحتلة (الديان 2024م، 103).

3- دعم الهجرة والاستيطان:

بدأت الحركة الصهيونية في استعمال مصادر تمويل متنوعة لدعم الهجرة والاستيطان في فلسطين، إذ كان هذا الدعم أساسياً في تحقيق هدف الحركة بزرع كيان يهودي في أرض فلسطين، ففي الحقبة ما بين عامي (1882 - 1917م) بدأت أولى موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين، التي كانت جزءاً من جهود الحركة الصهيونية لتوطيد اليهود في المنطقة (حسنين 2001م، ص163) اعتمدت الحركة في البداية على تبرعات أثرياء اليهود، وكان لعائلة روتشيلد دور كبير في تمويل شراء الأراضي وإنشاء المستوطنات الزراعية، وكانت تلك الأموال تستعمل لشراء الأراضي من الفلسطينيين، ولاسيما في المناطق التي كانت تعد أكثر خصوبة وملاءمة للاستيطان وكانت أبرزها: زخرون يعقوب التي تأسست عام (1882م) في مدينة حيفا، ومستوطنة ريشون لتسيون في مدينة يافا عام (1887م) واللتين أسستا كمستعمرات زراعية يهودية على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتم شراء ما يقرب من 2% من أراضي فلسطين عبر قنوات مالية خارجية، بما في ذلك الأساليب الملتوية، مثل: استخدام وسطاء وضغوط على الفلاحين الفلسطينيين لبيع أراضيهم، ويبدو أن تلك الأساليب كانت جزءاً من استراتيجية مدروسة من قبل المؤسسات الصهيونية، التي كانت تستهدف بسط النفوذ اليهودي على أرض فلسطين (المسيري 1999م، ج3، ص122).

ومن ثم أنشئت مؤسسات صهيونية في مطلع القرن العشرين لتنظيم الاستيطان بدعم من الانكليز، أبرزها: (الصندوق القومي اليهودي) الذي تأسس عام (1901م) لشراء أراض من الفلسطينيين وإقامة مستوطنات عليها، وتأسست (الوكالة اليهودية) في عام (1929م) كذراع تنفيذية للحركة الصهيونية، إذ تولت تنظيم الهجرة اليهودية، وبناء المستوطنات، بدعم من سلطات الانتداب البريطاني، وكان لتلك المؤسسات دور كبير في تأمين الأموال اللازمة لتوسيع الاستيطان في فلسطين (ابراهيم 1998م، ص163).

وبعد تأسيس الوجود الصهيوني المزعم بفلسطين عام (1948م) الذي سمي بعام النكبة، بدأت جرائم التطهير العرقي والتهجير القسري للشعب الفلسطيني، إذ اتبعت الدولة الصهيونية

سياسة ممنهجة تقوم على التطهير العرقي والتهميش القسري للفلسطينيين، بهدف إخلاء الأرض من سكانها الأصليين وبناء دولة يهودية خالصة، هذه السياسة لم تكن عفوية، بل تم التخطيط لها وتنفيذها عبر مجازر جماعية وقوانين عنصرية، وهي ما زالت مستمرة حتى اليوم (حسنين 2001م، ص184).

وفي العام نفسه تشكلت عصابات مسلحة صهيونية بهدف تطهير فلسطين من سكانها العرب وفرض سيطرة يهودية على الأرض وكانت من أبرز تلك العصابات الصهيونية (الإرغون وشيترن) التي قتلت أكثر من 100 فلسطيني، بينهم نساء وأطفال وشيوخ، في قرية دير ياسين، ولم تكن تلك المجزرة حدثاً معزولاً، بل جزءاً من استراتيجية لترويع الفلسطينيين ودفعهم إلى الهروب من أراضيها، وكانت تلك المجزرة أنموذجاً لمذابح متكررة اسهمت في تهجير نحو 650 ألف فلسطيني خلال النكبة (الديان 2024م، ص179) .

وفي حرب الكيان مع الدول العربية عام (1967م) (النكسة) استكمل الصهاينة التطهير العرقي، وطردوا ما يقرب من 300 ألف فلسطيني من الضفة الغربية وقطاع غزة، واحتلوا القدس وتم طرد نصف سكانها وصدروا قانوناً يمنح أي يهودي في العالم حق المواطنة فور وصوله الى فلسطين بموجب قانون العودة (أمين 2011م، ص210).

ثالثاً: المقاومة ورد الفعل العربي الإسلامي:

مثل الغزو الصليبي والاستيطان الصهيوني تحدياً وجودياً للأمة العربية والإسلامية، استهدف قلبها الجغرافي والتاريخي في فلسطين والقدس، وعلى الرغم من اختلاف السياقات الزمنية والأيدولوجية بين المشروعين، فإن ردود الفعل العربية والإسلامية تجاههما تكشف عن أنماط متشابهة من المقاومة سواء على المستوى العسكري أو السياسي وحتى الاجتماع (السامرائي 2023م، ص73-74) .

فالحروب الصليبية أول اختبار جدي لوحدة العالم الإسلامي وقدرته على مواجهة المشاريع الاستعمارية الاستيطانية، إذ بدأ الرد الإسلامي مشتتاً بين أمراء المسلمين وانتهى موحداً تحت نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي ومن ثم المماليك، الذين أعادوا صياغة الخريطة السياسية والعسكرية للعالم الإسلامي، وفي المقابل، واجه المشروع الصهيوني مقاومة شعبية وعسكرية منذ بداياته، وإن تعثرت في تحقيق تحرير كامل بسبب اختلال موازين القوى الدولية والانقسامات العربية (البيلي 1996م، ص92) .

أ- المقاومة العربية الإسلامية للصليبيين :

مرت المقاومة العربية بأكثر من مرحلة فكانت المرحلة الاولى مرحلة مقاومة من قبل السلاجقة والفاطميين لم يكن هناك تقدم ملحوظ انتهت بصدمة وتراجع؛ بسبب السيطرة الكاملة على فلسطين وجزء كبير من بلاد الشام، ثم ظهرت مرحلة المقاومة الإسلامية الحقيقية للصليبيين من العراق وتحديداً من مدينة الموصل (السامرائي 2023م، ص73) إذ استطاع عماد الدين زنكي حاكم الموصل أن يشكل جبهة إسلامية لقيادة المقاومة ضد الصليبيين، وجاءت كرد فعل طبيعي للتواجد الصليبي في الشام ((وكان هو أول من حمل على الفرنج)) (ابن الأثير 1997م، ج9، ص123) لذا سعى عماد الدين زنكي إلى توحيد المسلمين في العراق والشام؛ فسيطر على حلب ودمشق عام (522هـ / 1128م) وحرر مدينة الرها من قبضة الصليبيين مما شكل صدمة نفسية مؤلمة لهم؛ وقد عد بعض المؤرخين أن تحرير الرها، بداية النهاية للصليبيين في الشرق (ماير 1999م، ج2، ص217).

وأما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التحرير التي بدأها صلاح الدين الأيوبي بعد نجاحه في توحيد مصر والشام، حتى أصبح صلاح الدين القوة الرئيسة في العالم الإسلامي لمواجهة الصليبيين، شكلت هذه الوحدة حبر الزاوية في تحقيق الانتصارات الكبرى على الصليبيين، إذ بدأها بتحرير عسقلان عام (573هـ / 1177م) ثم الكرك عام (582هـ / 1186م) حتى التقى بجيشه الجيش الصليبي الذي انهزم شر هزيمة معركة حطين وتحرير بيت المقدس (السبت 24 ربيع الآخر سنة 583 هـ / 4 تموز 1187م) (ابن الأثير 1997م، ج9، ص159-163).

واستكمل المماليك (648-784هـ / 1250-1382م) تحرير فلسطين والمدن العربية من الصليبيين بالكامل على يد الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة المماليك في مصر وبلاد الشام، إذ حافظ على وحدة البلاد في مواجهة الصليبيين طوال مدة حكمه (658-776هـ / 1260-1277م) (السيوطي 1967م، ج2، ص95-199) واستطاع شن هجمات عسكرية ضد الصليبيين، وحرر مدناً مثل: قيسارية والرملة، وبذلك لم تعد للصليبيين أية مدن أو قلاع أو حصون داخل بلاد الشام سوى مملكة عكا وإمارة طرابلس، التي جاء تحريرها على يد خلفه المنصور قلاوون (10) عام (680هـ / 1290م) وبذلك انتهى الوجود الصليبي في بلاد الشام الذي قارب وجوده القرنين من الزمان (الذهبي 1987م، ج12، ص318).

ب - المقاومة العربية الإسلامية للصليبيين:

بدأت المقاومة العربية مع بداية القرن العشرين منذ صدور وعد بلفور في (1917م)

(10) واسمه سيف الدين (ت689هـ/1290م) أحد سلاطين دولة المماليك البحرية التي حكمت مصر والشام، كان من جنود الملك الصالح نجم الدين ثم أصبح أميراً في جيش بيبرس؛ (الذهبي 1987، ج12، ص316).

مرورا بتأسيس الكيان الصهيوني وجودا لهم في فلسطين (1948م) وحتى هذه اللحظة، إذ تتواصل محاولات الاحتلال الصهيوني لأراض فلسطينية وعربية أخرى، وواجه الكيان رفضا ومقاومة منذ مراحل تشكيله الأولى، بدأت بحركة الإخوان المسلمين التي تأسست في مصر عام (1928م) على يد الداعية الإسلامي حسن البنا، وكانت من أوائل الحركات التي تبنت قضية فلسطين، ثم توسعت حركة المقاومة لتنضم سوريا مع مصر عن طريق حركة إبراهيم القسام في (1935م) والتي شكلت أساس المقاومة المسلحة ضد الاحتلال البريطاني والصهيوني (أمين 2011م، ص170).

ودخلت المقاومة مرحلة جديدة بعد اعلان النكبة، بدأت بعد هجوم الجيش الصهيوني على المدن الفلسطينية وتهجيرها، وقد دخلت عدة دول عربية في حرب (1948م) ضد الصهاينة، اشترك فيها العراق ومصر وسوريا ولبنان ومتطوعين من دول عربية مختلفة، ولكن هذه الحرب انتهت بهزيمة الجيوش العربية؛ لانعدام التنسيق بين القوات العربية، فضلا عن التفوق العسكري الصهيوني والدعم الغربي له، ومع ذلك، كانت تلك الهزيمة بداية للمقاومة المستمرة (ابراهيم 1998م، ص143).

وفي عام (1987م) نشبت الانتفاضة الفلسطينية الأولى في الضفة الغربية وقطاع غزة، وحقت بعض النجاحات في تحرير بعض المدن الفلسطينية مؤقتا من الاحتلال الصهيوني. وعلى الرغم من كونها انتفاضة شعبية غير مسلحة في البداية، إلا أن الانتفاضة أحدثت تأثيرا كبيرا في الساحة الفلسطينية، إذ ظهر فيها الدور البارز لحركة حماس التي تأسست في العام نفسه على يد الشيخ أحمد ياسين (1937-2004م) واستعمل المقاومون الفلسطينيون كل الأساليب المتاحة، من بينها الحجارة والمواد الحارقة، لصد الهجمات الصهيونية (الديان 2024م، ص164).

وبعد عام 2000م اندلعت الانتفاضة الفلسطينية الثانية، وهي الأكثر عنفا بين الانتفاضات، وشهدت اندلاع العديد من العمليات الاستشهادية والعمليات الفدائية ضد الصهاينة، كان الهدف من تلك الانتفاضة تحرير المدن الفلسطينية، ولاسيما مدينة القدس التي حاول الكيان تهويدها، واصبحت حركة حماس المقاومة (حسنين 2001م، ص113).

اما ما بعد عام (2010م) فشهدت المنطقة العربية الربيع العربي (الثورات الداخلية ضد الانظمة الحاكمة) الذي أثر بشكل غير مباشر على القضية الفلسطينية، إذ انشغلت العديد من الدول العربية في تحولات وانقسامات داخلية، وأصبح الوضع الإقليمي أكثر تعقيدا، إذ سيطر الانقسام السياسي الفلسطيني بين مقاومة فتح وحماس مما أثر سلبا على تنسيق المقاومة، وعلى

الرغم من التحديات التي واجهتها المقاومة لكنها ستظل القضية الفلسطينية حية في أذهان الشعوب العربية والإسلامية، وتشكل جزءا من نضال طويل لتحرير الأراضي الفلسطينية والحقوق المسلوقة (الديان 2024م، ص120-124).

الخاتمة

توصل البحث الى مجموعة نقاط رئيسة وهي:

1- أظهر البحث استغلال كل من الصليبيين والصهاينة الدين والتاريخ لتبرير وجودهم في فلسطين، ومحاولة للتخلص من العبء الاجتماعي والاقتصادي، والفهم الاستعماري يكمن في محاولات تبرير الهيمنة على الأرض وذلك بادعاءات دينية تبتعد عن الواقع التاريخي، استغلوا نصوصا دينية من التوراة لخلق ارتباط زائف بين اليهود وفلسطين، على الرغم من غياب الأدلة التاريخية القاطعة، مما يعكس محاولة فرض هوية ثقافية وسياسية جديدة على المنطقة.

2- كان دور الدعم الخارجي الغربي في كلا الاحتلالين، سواء في دعم الحروب الصليبية أو في دعم الكيان الصهيوني، يكشف عن عنصر حاسم في الاستعمار الأوروبي للمنطقة، فالتمويل العسكري والاقتصادي الذي حصل عليه الصليبيون من غالب دول أوروبا والكنيسة، وكذلك الصهاينة لا يمكن فصلهم عن المصالح الاستعمارية الأوروبية والأمريكية التي كانت تسعى لتوسيع نفوذها في الشرق الأوسط، فضلا عن أن هذا الدعم لا يركز فقط على الطابع الديني، بل على الأهداف الاقتصادية والسياسية الغربية.

3- من خلال سياسة الاستيطان التي اعتمدها الصليبيون والصهاينة، نجد أن كليهما استعمل العنف الممنهج والتهجير القسري للسكان الأصليين كأداة للهيمنة، والاستيطان لم يكن مجرد عملية تأسيس لمستعمرات، بل كان جزءا من عملية تفكيك للبنية الاجتماعية والثقافية للمجتمع الفلسطيني، فكل من الاحتلالين استعمل الأرض كوسيلة للاستيطان وإعادة تشكيل النسيج الديموغرافي، فكانت المجازر والهجمات جزءا من خطة لتصفية الوجود الإسلامي في فلسطين، في حين أنه في الحالة الصهيونية، تم تطبيق سياسة التطهير العرقي بشكل مشابه في نكبة 1948م وحروب 1967م، هذا التطابق بين السياسات الصليبية والصهيونية يعكس سمة استعمارية مشتركة تستهدف إبادة الهويات الأصلية وفرض هوية مستعمرة جديدة.

4- الرد العربي والإسلامي على كلا الاحتلالين كان يعكس في جوهره مقاومة استعمارية ضد محاولات تغيير الواقع التاريخي والجغرافي في فلسطين، والمقاومة ضد الاحتلال الصليبي، التي

قادها صلاح الدين الأيوبي والمماليك، تشير إلى تأصيل الوعي العربي والإسلامي في مواجهة المشاريع الاستعمارية، في حين أن المقاومة ضد الاحتلال الصهيوني تمثل امتدادا لتلك المقاومة التاريخية، مع تحولات في الأساليب والظروف السياسية.

5- التاريخ لا يعيد نفسه، لكنه يقدم لنا دروسا ثمينة لمن يعرف قراءته بوعي، المشروع الصليبي سقط بعد قرنين، والمشروع الصهيوني سيسقط حتما عندما تتوافر شروط المقاومة الفاعلة والوحدة وحثمية فشل المشاريع الاستعمارية على المدى الطويل مع توافر أهمية الوحدة الوطنية والإقليمية في المقاومة، ودور العامل الثقافي في الحفاظ على الهوية، وبناء الذاكرة الجماعية للأجيال القادمة، لذا يجب قراءة التاريخ كأداة لفهم الحاضر.

قائمة المصادر والمراجع:

References:

1. Michal, Feldman. "GAncient DNA sheds light on the genetic origins of early Iron Age Philistines." Advancement, 5 eaax0061, 20019: AAS.
2. The Assyrian Dictionary. Oriental Institute. Chicago: University, 1958.
3. ابو الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني ابن الأثير. الكامل في التاريخ. ترجمة عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، 1997م.
4. أحمد الشامي. صلاح الدين والصليبيون. القاهرة: مكتبة النهضة العربية، 1991م.
5. ارنست باركر. الحروب الصليبية. ترجمة السيد الباز العريني. بيروت: دار النهضة العربية، 1967.
6. اسرائيل شاحاك. اختراع الارض المقدسة. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 1990م.
7. انجيل متى. الاصحاح الثاني. ترجمة لآباء اليسوعيين. بيروت: دار الشرق، 1989م.
8. انجيل يوحنا. الاصحاح 8. ترجمة لآباء اليسوعيين. بيروت: دار الشرق، 1990م.
9. أودو أوف دويل. رحلة لويس السابع إلى الشرق. دمشق: دار الفكر العربي، 1995.
10. بطرس بن أبي الكرم بن المهذب ابن الراهب. تاريخه. بيروت: طبعة الآباء اليسوعيين، 1903م.
11. تقى الدين احمد بن علي العبيدي المقرئ. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء. تحرير جمال الدين الشيال. المجلد 2. مصر: وزارة الاوقاف، 1996م.
12. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي. سن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة. تحرير ابو الفضل ابراهيم. القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، 1967م.
13. رشاد نواف أحمد السامرائي. "لتغيرات السكانية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية." اطروحة دكتوراه (غير منشورة). جامعة سامراء، 2023.
14. رياض أمين. أرض العروبة فلسطين. الدوحة: منشورات الوطن، 2011م.
15. سعود بن عبد العزيز الخلف. دراسات في الاديان اليهودية والنصرانية. الرياض: مكتبة أضواء السلف، 2004.
16. سعيد حمدي الديان. الصهيونية مشروع دولي. الرياض: العبيكان، 2024م.
17. سفر التكوين. الفصل 15. القاهرة: جمعية الكتاب المقدس، 1865.
18. شرف الدين حسنين. الصهيونية نشأتها وأهدافها. القاهرة: مكتبة الشروق، 2001م.
19. شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام. تحرير عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي، 1987م.

20. صلاح عيسى. صك المؤامرة. د.م: دار الكرامة، 1991م.
21. عبد الوهاب المسيري. موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية. القاهرة: دار الشرق، 1999.
22. فواز نصرت توفيق. "دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية (جنوة، البيزا، البندقية)". جامعة تكريت مجلة العلوم الانسانية، العدد 10 المجلد 16، 2009: .
23. فوشيه الشارترى. تاريخ الحملة إلى بيت المقدس (1095-1127م). ترجمة قاسم عبده قاسم. القاهرة: دار الشرق، 2001م.
24. فولغانغ فينر مولر. القلاع والحصون ايام الحروب الصليبية. ترجمة محمد وليد الجلال. بيروت: دار الفكر العربي، 1984.
25. قاسم عبده قاسم. الحملة الصليبية الاولى نصوص ووثائق. القاهرة: عين للدراسات والبحوث، 2001م.
26. ماير. تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة حمد فتحي الشاعر. القاهرة: د. ت، 1999م.
27. محمد ابراهيم. موجز تاريخ اليهود. بيروت: دار الجبل، 1998.
28. محمد بركات البيلي. لاد الشام بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في الإطار التاريخي للحركة الصليبية. القاهرة: مركز اتحاد المؤرخين العرب، 1996م.
29. محمد حسين شمس الدين ابن كثير. تفسير القرآن العظيم. تحرير محمد حسن شمس الدين. بيروت: دار الكتب العلمية، 2998م.
30. موسى سلامة. مصر أرض الحضارة. القاهرة: مركز انسان للدراسات والنشر، 2012.
31. ميخائيل، زابوروف. الصليبيون في الشرق. ترجمة الياس شاهين. موسكو: دار التقدم، 1990م.
32. نورمان كانتور. التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية. ترجمة قاسم عبده قاسم. د.م: عين للدراسات والبحوث، 1999م.
33. وليم الصوري. تاريخ الحروب الصليبية. ترجمة سهيل زكار. بيروت: دار الفكر، 2003م.
34. يعقوب، الفيتري. تاريخ بيت المقدس. ترجمة سعيد البيشاوي. عمان: دار الشروق، 1998.

ترجمة قائمة المصادر والمراجع:

1. Michal، Feldman. "Ancient DNA sheds light on the genetic origins of early Iron Age Philistines." Science Advances، 5 eaax0061، 2019: AAAS.
2. The Assyrian Dictionary. Oriental Institute. Chicago: University of Chicago Press، 1958.
3. Abu al-Hasan Ali bin Abi al-Karam al-Shaybani Ibn al-Athir. Al-Kamil fi al-Tarikh. Translation by Omar Abdul Salam Tadimri. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi، 1997.



4. Ahmad al-Shami. Saladin and the Crusaders. Cairo: Al-Nahda Arabic Library, 1991.
5. Ernest Parker. The Crusades. Translation by Al-Sayed al-Baz al-Urayni. Beirut: Dar al-Nahda al-Arabia, 1967.
6. Israel Shahak. The Invention of the Holy Land. Beirut: Institute for Palestinian Studies, 1990.
7. The Gospel of Matthew. Chapter 2. Translation by Jesuit Fathers. Beirut: Dar al-Sharq, 1989.
8. The Gospel of John. Chapter 8. Translation by Jesuit Fathers. Beirut: Dar al-Sharq, 1990.
9. Odo of Doyle. The Seventh Louis' Journey to the East. Damascus: Dar al-Fikr al-Arabi, 1995.
10. Butrus bin Abi al-Karam bin al-Muhadhab Ibn al-Rahib. His History. Beirut: Jesuit Fathers Edition, 1903.
11. Taqi al-Din Ahmad bin Ali al-Abidi al-Maqrizi. Ita'az al-Hunafa' bi-Akhbar al-A'imma al-Fatimiyyin al-Khulafa. Edited by Jamal al-Din al-Shayal. Volume 2. Egypt: Ministry of Awqaf, 1996.
12. Jalal al-Din Abdul Rahman al-Suyuti. San al-Muhadhara fi Tarikh Misr wa al-Qahira. Edited by Abu al-Fadl Ibrahim. Cairo: Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyya, 1967.
13. Rashad Nawaf Ahmad al-Samarra'i. "Demographic Changes in the Levant During the Crusades." Unpublished PhD Thesis. Samarra University, 2023.
14. Riyadh Amin. Land of the Arabs, Palestine. Doha: Al-Watan Publications, 2011.
15. Saud bin Abdulaziz al-Khalaf. Studies in Jewish and Christian Religions. Riyadh: Dar A'udha al-Salaf, 2004.
16. Said Hamdi al-Diyan. Zionism: An International Project. Riyadh: Al-Obaikan, 2024.
17. The Book of Genesis. Chapter 15. Cairo: Bible Society, 1865.
18. Sharaf al-Din Hassanin. Zionism: Its Origins and Goals. Cairo: Shorouq Library, 2001.
19. Shams al-Din Muhammad bin Ahmad bin Osman al-Dhahabi. History of Islam and the Deaths of Famous Figures and Scholars. Edited by Omar Abdul Salam Tadimri. Beirut: Dar al-Kitab al-Arabi, 1987.
20. Salah Issa. The Conspiracy Pact. D. M: Dar al-Karama, 1991.
21. Abdul Wahab al-Messiri. Encyclopedia of Jews, Judaism, and Zionism. Cairo: Dar al-Sharq, 1999.
22. Fawaz Nasrat Tawfiq. "The Role of Italian Commercial Cities in the Crusades (Genoa, Pisa, Venice)." Tikrit University - Journal of Humanities Sciences, Issue 10, Volume 16, 2009.
23. Fouché Chartreux. History of the Crusade to Jerusalem (1095-1127).



- Translation by Qasim Abdu Qasim. Cairo: Dar al-Sharq, 2001.
24. Wolfgang Wernher Muller. Castles and Fortresses in the Crusader Period. Translation by Muhammad Walid al-Jalad. Beirut: Dar al-Fikr al-Arabi, 1984.
 25. Qasim Abdu Qasim. The First Crusade: Texts and Documents. Cairo: Ayn for Studies and Research, 2001.
 26. Mayer. History of the Crusades. Translation by Hamad Fathi al-Sha'ar. Cairo: D. T, 1999.
 27. Muhammad Ibrahim. A Brief History of the Jews. Beirut: Dar al-Jil, 1998.
 28. Muhammad Barakat al-Bayli. The Levant Between Islamic East and Christian West in the Historical Framework of the Crusader Movement. Cairo: Arab Historians Union Center, 1996.
 29. Muhammad Hussein Shams al-Din Ibn Kathir. Tafseer al-Quran al-Azim. Edited by Muhammad Hassan Shams al-Din. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1998.
 30. Mousa Salama. Egypt: The Land of Civilization. Cairo: Insan Center for Studies and Publishing, 2012.
 31. Mikhail Zaborov. The Crusaders in the East. Translation by Elias Shatin. Moscow: Progress Publishers, 1990.
 32. Norman Cantor. Medieval History: The Story of Civilization's Beginning and End. Translation by Qasim Abdu Qasim. D. M: Ayn for Studies and Research, 1999.
 33. William of Tyre. History of the Crusades. Translation by Suhail Zakar. Beirut: Dar al-Fikr, 2003.
 34. Ya'qub al-Fitri. History of Jerusalem. Translation by Said al-Bishawi. Amman: Dar al-Shorouq, 1998.

